لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين * قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم *

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية : وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بسم الله الرحمن الرحيم * المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون *

(ومحياي ومماتي) أي أعمالي في حين حياتي وعند موتي (لله) أي خالصا لوجهه وطلب رضاه ، ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له : أي لا أريد بأعمالي غير الله فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك (وأنا أول المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغير الله أبغي ربا) تقرير وتوبيخ للكفار ، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شيء) برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) رد على الكفار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك ، فنزلت هذه الآية : أي ليس كما قلتم ، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يحمل أحد ذنوب أحد ، وأصل الوزر الثقل ، ثم استعمل في الذنوب (خلائف) جمع خليفة : أي يخلف بعضكم بعضا في السكنى في الأرض أو خلائف عن الله في أرضه ، والخطاب على هذا لجميع الناس ، وقيل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة (ورفع بعضكم) عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبر شكركم على ما أعطاكم ، وأعمالكم فيما مكنكم فيه (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية ، وسرعة عقابه تعالى : إما في الدنيا بمن عجل أخذه ، أو في الآخرة لأن كل آت قريب ، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته

﴿سورة الاعراف﴾

(المص) تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة (حرج منه) أي ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك ، وقيل الحرج هنا الشك ، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكرى) منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذر وتذكر ذكرى ، لأن الذكر بمعنى التذكير ، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو مخفوض عطفا على موضع لتنذر أي للإنذار والذكرى (قليلا ما تذكرون) انتصب قليلا بتذكرون أي تذكرون تذكرا

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْهُمْ قَائِلُونَ ۞ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۞ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۞ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلا وما زائدة للتوكيد (أهلكناها فجاءها بأسنا) قيل إنه من المقلوب تقديره : جاءها بأسنا فأهلكناها ، وقيل المعنى : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن فجاءها بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون (بيانا أو هم قائلون) بيانا مصدر فى موضع الحال بمعنى بائتين أى بالليل ، وقائلون من القائلة : أى بالنهار ، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار ، وأو هنا للتنويع (دعواهم) أى ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين فى ذلك (أرسل إليهم) أسند الفعل إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية : أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم ، ويسأل الرسل عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والأمم (والوزن) يعنى وزن الأعمال (يومئذ) أى يوم يسئل الرسل وأممهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أى يكذبون بها ظالما (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف (ألا تسجد) لازائدة للتوكيد (إذ أمرتك) استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضى الوجوب والفور ، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود ، وهو يقتضى الاعتراض على الله تعالى فى أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود (فاهبط منها) أى من السماء (قال فبما أغويتنى) الفاء للتعليل وهى تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك لى لأغوين بنى آدم ، وما مصدرية ، وقيل استفهامية ويبطله ثبوت الألف فى مامع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية (ثم لآتينهم من بين أيديهم) الآية : أى من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه على بنى آدم كيفما أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن أيمانهم

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ۞ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَآ
إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ۞ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن
وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَا
رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۞ قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞

الحسنات ، وعن شمائلهم السيئات (مذءوما) من ذأمه بالهمز إذا ذمه (مدحورا) أى مطرودا حيث وقع (فوسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ، فمعنى وسوس لهما : ألقى لهما هذا الكلام (ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما) أى ليظهر ماستر من عوراتهما واللام فى قوله ليبدى للتعليل إن كان فى انكشافهما غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه اليه (الشجرة) ذكرت فى البقرة (إلا أن تكونا ملكين) أى كراهة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقرىء ملكين بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لا يبلى (وقاسمهما) أى حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التى تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته (فدلاهما) أى أنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) أى غرهما بحلفه لهما لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا (بدت لهما سوآتهما) أى زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لا يرياها من أنفسهما ، ولا أحدهما من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يصلان بعضه ببعض ليستترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلمنا أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هى الكلمات التى تاب الله عليه بها (اهبطوا) ومابعده مذكور فى البقرة (فيها تحيون) أى فى الأرض (لباسا) أى الثياب التى تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا) أى لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار للتقوى لباسا كقولهم ألبسك الله قميص تقواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به فى الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو خبره الجملة ، وهى ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ما أنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ

وجه الاستطراد عقيب ماذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليها ليبين إنعامه على ماخلق من اللباس (ينزع عنهما لباسهما) أى كان سببا فى نزع لباسهما عنهما (من حيث لاترونهم) يعنى فى غالب الأمر، وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت فى رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم فى الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار النية، والإخلاص لله، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عند كل مسجد) أى فى كل مكان سجود أوفى وقت كل سجود والأول أظهر، والمعنى إباحة الصلاة فى كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: جعلت لى الأرض مسجدا (كما بدأكم تعودون) احتجاج على البعث الأخروى بالبدأة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدى، والثانى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة فى الصلاة، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا واشربوا) الأمر فيهما الإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل (ولا تسرفوا) أى لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع فى هذه الآية، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام (قل من حرم زينة الله) إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردا عليهم (خالصة يوم القيامة) أى الزينة والطيب فى الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفى الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أوخبر ابتداء مضمر (والإثم) عام فى كل ذنب (وأن تقولوا على الله)

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ يَٰبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي
فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى
ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا
فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ
لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ لَهُم مِّن
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ

أى تفتروا عليه فى التحريم وغيره (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ماالزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط فمن اتقى الآية (فمن أظلم) ذكر فى الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى يصل اليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا فى أمم) أى ادخلوا النار فى جملة أمم أو مع أمم (اداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم الرؤساء والقادة، وأخراهم الأتباع والسفلة، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا: أى قاله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل فى الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من قول أولاهم لأخراهم أومن قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء، والثانى لا يدخلون الجنة، فإن الجنة فى السماء، والثالث لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل الجمل فى ثقب الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون مالا يكون أبدا، فلا يدخلونها أبدا (مهاد) فراش (غواش) أغطية (لا نكلف نفسا إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبين أن مايطلب من الأعمال الصالحة مافى الوسع والطاقة (ونزعنا مافى صدورهم من غل) أى من كان فى صدره غل لأخيه فى الدنيا نزعه منه

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۝ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا

فى الجنة وصاروا إخوانا أحبابا ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضى وهو مستقبل لتحقق وقوعه فى المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع . وكذلك كل ماجاء بعد هذا من الأفعال الماضية فى اللفظ وهى تقع فى الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغير ذلك (هدانا لهذا) إشارة إلى الجنة أو إلى ماأوجب من الإيمان والتقوى (أن تلكم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ، وأن سلام : يحتمل أن يكون أن فى كل واحدة منها مخففة من الثقيلة ، فيكون فيها ضميرا أو حرف عبارة وتفسير المعنى القول (ماوعدنا ربنا حقا) حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أى أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أى بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح لقوله : فضرب بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد فى الحديث أنهم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها وهم يطمعون) أى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون فى دخولها من بعد (وإذا صرفت أبصارهم) الضمير لأصحاب الأعراف أى إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لايجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعنى من الكفار الذين فى النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم للمال أو كثرتهم (وما كنتم تستكبرون) أى استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فما هاهنا مصدرية وما فى قوله ، ماأغنى ، استفهامية أو نافية (أهؤلاء الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا فى الدنيا يقسمون أن الله لايرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلاف ماقالوا ، وقيل هى من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطابا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا الجنة ، أو خطابا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن أفيضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم (كما نسوا) الكاف للتعليل (وما كانوا) عطف على كما نسوا : أى لنسيانهم وجحودهم (جئناهم بكتاب) يعنى القرآن (فصلناه على علم) أى علمنا كيف نفصله (إلا تأويله) أى هل ينتظرون إلا عاقبة أمره ، ومايؤول إليه أمره بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤا بالحق (استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبى زيد وغيره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله : ثم استوى إلى السماء ، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش ، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة ، والحق الإيمان به من غير تكييف ، فإن السلامة فى التسليم ، ولله در مالك بن أنس فى قوله للذى سأله عن ذلك : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة ، وقد روى مثل قول مالك عن أبى حنيفة ، وجعفر الصادق ، والحسن البصرى ، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون فى معنى الاستواء ، بل أمسكوا عنه ، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) أى يلحق الليل بالنهار ، ويحتمل الوجهين ، هكذا قال الزمخشرى ، وأصل اللفظة من الغشاء أى يجعل أحدهم غشاء للآخر يغطيه فتغطى ظلمة الليل ضوء النهار (يطلبه حثيثا) أى سريعا ، والجملة فى موضع الحال من الليل أى يطلب الليل النهار فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر ، وقيل الخلق مصدر خلق ، والأمر واحد الأمور : كقوله إلى الله تصير الأمور ، والكل صحيح (تبارك) من البركة ، وهو فعل غير منصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعا وخفية) مصدر فى موضع الحال وكذلك خوفا وطمعا ، وخفية من الإخفاء ، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد ، وقيل هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتمطط

فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ

فيه (واعوه خوفا وطمعا) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال الله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه بأن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه ، قال تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء فى الحديث «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه» لاعتدلا إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» واعلم أن الخوف على ثلاث درجات : الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر فى الباطن ولا فى الظاهر ، فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس فى الخوف على ثلاث مقامات : فخوف العامة من الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها ، والرجاء على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ، والناس فى الرجاء على ثلاث مقامات : فمقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شىء قريب أو على تقدير النسب أى ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرد فى القرآن جمعها إذا كانت الرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد فى الحديث «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين ، وهو على هذا مصدر فى موضع الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نشر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء فى موضع النون وهو من البشارة (بين يدى رحمته) أى قبل المطر (أقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (لبلد ميت) يعنى لا نبات فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلنا به الماء) الضمير للسحاب أو البلد ، على أن تكون الباء ظرفية (كذلك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وبإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع ذلك فى القرآن فى مواضع منها : كذلك النشور ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريم من الأرض الجيد التراب (والذى خبث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (بإذن ربه) عبارة عن السهولة والطيب . والنكد

لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ
لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
عَمِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا
آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ

بخلاف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد مايقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعنى الذى قبلها فى المطر ، أو تكون تمثيلا للقلوب ، فقيل على هذا الطيب . قلب المؤمن ، والخبيث : قلب الكافر وقيل هما للفهيم والبليد (من إله غيره) قرأ الكسائى بالخفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة أو يوم هلاكهم (الملأ) أشراف الناس (ليس بى ضلالة) إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك عندك تمر ، فتقول ماعندى تمرة فتعم بالنفى (أبلغكم) قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو فى موضع رفع صفة لرسول أو استئناف (أعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهمزة للإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف عليه محذوف ، كأنه قال أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان رجل منكم (فى الفلك) متعلق بمعه والتقدير استقروا معه فى الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه (عمين) جمع أعمى وهو من عمى القلب (أخاهم) أى واحد من قبيلتهم ، وهو عطف على نوحا ، وهودا بدل منه أوعطف بيان ، وكذلك أخاهم صالحا ومابعده ، وماهو مثله حيث وقع (الملأ الذين كفروا) قيدهنا بالكفر لأن فى الملأ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن ، فأطلق لفظ الملأ (أمين) يحتمل أن يريد أمانته على الوحى أوأنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الأرض أوجعلكم ملوكا (وزادكم فى الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا ، وأطولهم مائة ذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجئتنا لنعبدالله وحده) استبعدوا توحيد

كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلونني فى أسماء سميتموها) يعنى الأصنام : أى تجادلونني فى عبادة مسميات أسماء ، ففى الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتموها أنتم وآباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها محدثة ، فلا يصح أن تكون آلهة ، أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل : فالجدال على القول الأول فى عبادتها ، وعلى القول الثانى فى تسميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثانى : التسمية (دابر) ذكر فى الأنعام (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة وهى الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير فحل ، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم نتجت ولدا فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أى معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والمجرور فى موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها (وبوأكم فى الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذى أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنون قصورا فى الأرض البسيطة (وتنحتون الجبال بيوتا) أى تتخذون بيوتا فى الجبال ، وكانوا يسكنون القصور فى الصيف ، والجبال فى الشتاء ، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك : خطت هذا الثوب قميصا (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (إنا بالذى آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون لئلا يكون اعترافا برسالته (فعقروا الناقة) نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر (الرجفة) الصيحة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟
بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فماتوا منها (جاثمين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (فتولى عنهم) الآية : يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ، لأنه روى أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم ، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية ، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم ، وقوله : لا تحبون الناصحين : حكاية حال ماضية (إذ قال لقومه) العامل فى إذ أرسلنا المضمر ، أو يكون بدلا من لوط (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم ، ومن الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض أو للجنس (فما كان جواب قومه) الآية : أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن الفاحشة (من الغابرين) أى من الهالكين ، وقيل من الذين غبروا فى ديارهم فهلكوا ، أو من الباقين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى ، وبمعنى بقى ، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين (وأمطرنا عليهم مطراً) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم ، وقلبت البلاد بمن كان فيها (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة ، ولم تعين فى القرآن آية شعيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون فى الكيل والوزن ، فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك ، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء فى هود المكيال والميزان ، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى هو نهى عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان ، والضمير فى به للصراط أو لله (تبغونها عوجا) ذكر فى آل عمران (أو لتعودن فى ملتنا) أى

كُنَّا كَٰرِهِينَ * قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا

ليكونن أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أو عودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضى أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضى قولهم لتعودن فى ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا اليها وذلك محال ، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضى تقدم ذلك الحال الذى صار اليه ، والثانى قاله الزمخشرى وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه فى الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه فى الخطاب معهم فى قولهم : لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك ، فغلبوا فى الخطاب بالعود الجماعة على الواحد ، ومثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا فى ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (قال أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والإنكار ، والواو للحال ، تقديره : أنعود فى ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم) أى إن عدنا فيها فقد وقعنا فى أمر عظيم من الافتراء على الله ، وذلك تبرأ من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور اليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح فى حق قومه وأما فى حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره كقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، مع أنه قد علم أنه يثبته (ربنا افتح بيننا) أى احكم (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فى ديارهم (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالبأساء والضراء) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم فى الحالتين (حتى عفوا) أى كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أى بالمطر والزرع (أوأمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ
الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ۝ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ۝
ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا

قرأ بإسكان الواو فهى أو العاطفة ، ومن قرأ بفتحها فهى واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء فى قوله أفأمنوا مكر الله : أى استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر (أولم يهد) أى أولم يتبين (للذين يرثون الأرض) أى يسكنونها (أن لو نشاء) هو فاعل أولم يهد ، ومقصود الآية الوعيد (ونطبع على قلوبهم) عطف على أصبناهم لأنه فى معنى المستقبل ، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الزمخشرى أن يكون عطفا على يرثون الأرض أو على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) من قرأ على بالتشديد على أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر ، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق ، وموضع أن لا أقول على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق ، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر ، وحقيق صفة لرسول ، وفى المعنى على هذا وجهان ، أحدهما أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، والثانى أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدى بعلى (قد جئتكم ببينة من ربكم) أى بمعجزة تدل على صدقى وهى العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى خلهم يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم ، وذلك أنه لما توفى يوسف عليه السلام غلب فرعون على بنى إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى ، وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عاما (ونزع يده فإذا هى بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها فى جيبه ، ثم أخرجها وهى بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا وقيل إنها كانت منيرة شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (للناظرين) مبالغة فى وصف يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر

لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا
فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ۝ وَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

عليم) حكى هذا الكلام هنا عن الملأ وفى الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هو وهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك فى اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بنى إسرائيل وكانوا خدّاما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها (فماذا تأمرون) من قول الملأ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أى المشاورة أو من الأمر وهو ضد النهى (أرجه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فمعناه أخرهما حتى ننظر فى أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة ، أو يكون بمعنى الرجاء أى أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان ، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف (حاشرين) يعنى الشرطة أى جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قيل هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزتين فهو استفهام ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبراً أو استفهاما حذفت منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ، طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجراً وتقربكم ، واختلف فى عدد السحرة إختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا وكل ذلك لا أصل له فى صحة النقل (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤاهم بإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإسمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم) أى خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألق عصاك) لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الجبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل (تلقف) أى تبتلع (ما يأفكون) أى ما صوروا من إفكهم وكذبهم وروى أن الثعبان أكل ملء الوادى من حبالهم وعصيهم ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر ، وليس فى قدرة البشر ، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لأقطعن أيديكم) الآية :

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۞ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس فى القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ، وقد ذكر معنى من خلاف فى العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالى بالموت لانقلابنا إلى ربنا (وما تنقم منا إلا أن آمنا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا فى الأرض) أى يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه (ويذرك) معطوف على ليفسدوا ، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو (وآلهتك) قيل إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أنا ربكم الأعلى ، فآلهتك على هذا هى تلك الأصنام ، وقرأ على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وإلهتك : أى عبادتك والتذلل لك (إن الأرض لله) تعليل للصبر ولذا أمرهم به يعنى أرض الدنيا هنا وفى قوله «ويستخلفكم فى الأرض» وقيل يعنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر فى قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح فى قوله عسى ربكم الآية (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنين أى الجدب والقحط (فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا جاءهم الجدب والشدة تطيروا بموسى : أى قالوا هذه بشؤمه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر فعرف الكثير الوقوع باللام التى للعهد ، وذكره بإذا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضى الشك ونكرها للتعليل (ألا إنما طائرهم عند الله) أى إنما حظهم ونصيبهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمى به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم . مهما هى ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هى اسم بسيط غير مركب . والضمير فى به يعود على مهما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، أو على وجه التهكم (فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ * وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ

وأبوابهم وسقف بيوتهم (والقمل) قيل هى صغار الجراد ، وقيل البراغيث ، وقيل السوس ، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف ، فهى على هذا القمل المعروف ، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم (والضفادع) هى المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستسقى من البئر القبطى والإسرائيلى فى إناء واحد فيخرج ما بلى القبطى دما ، وما بلى الإسرائيلى ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أى العذاب وهى الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم ، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائلك ، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمنن لك أو يتعلق بادع لنا أى توسل إليه بما عهد عندك (فى اليم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارق الأرض ومغاربها) الشام ومصر (باركنا فيها) أى بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل) أى تمت لهم واستقرت ، والكلمة هنا ما قضى لهم فى الأزل ، وقيل هى قوله : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض (وما كانوا يعرشون) أى يبنون ، وقيل هى الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثانى من العريش (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها) أى اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بنى إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ نتقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور فى البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هى شهر ذى القعدة والعشر بعدها هى العشر الأول من ذى الحجة ، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة فى البقرة (ميقات ربه) أى ما وقت له من الوقت لمناجاته

أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ

فى الطور (اخلفنى) أى كن خليفتى على بنى إسرائيل مدة مغيبى (قال رب أرنى) لما سمع موسى كلام الله طمع فى رؤيته ، فسألها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما * إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا ، وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى ، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون مايجوز على الله وما يستحيل ، وتأول الزمخشرى طلب موسى الروية بوجهين : أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بنى إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة ؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا ، والآخر أن معنى أرنى أنظر إليك : عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد ، والثانى أبعد وأضعف ، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية (قال لن ترانى) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن ترانى ، لأنك لاتطيق ذلك ولكن سأتجلى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى أمكن أن ترانى أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى ، وقال قوم المعنى سأتجلى لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله قوله فلما تجلى ربه للجبل فإذا تقرر هذا ، فقوله تعالى لن ترانى نفى الرؤية ، وليس فيه دليل على أنها محال ، فإنه إنما جعل علة النفى عدم إطاقة موسى الرؤية لاستحالتها ، ولو كانت الرؤية مستحيلة ، لكان فى الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسئلن مالیس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو فى الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك ، وأما فى الآخرة ، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا ينكرها إلا مبتدع ، وبين أهل السنة والمعتزلة فى مسئلة الرؤية تنازع طويل ، وفى هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها ، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جعله دكا) أى مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول كقولك ضربت الأمير ، والدك والدق : أخوان ، وهو التفتت ، وقرئ دكاء بالمد والهمز أى أرضا دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقى أكثره ، وقيل تفتت حتى صار غبارا ، وقيل ساخ فى الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقا) أى مغشيا عليه (تبت إليك) معناه تبت من سؤال الرؤية فى الدنيا وأنا لاأطيقها (وأنا أول المؤمنين) أى أول قومه أو أهل زمانه ، أو على وجه المبالغة فى السبق إلى الإيمان (اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) هو عموم يراد به الخصوص ، فإن جميع الرسل قد شاركوه فى الرسالة ، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا ، والصحيح أنه كلم نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (فخذ ما آتيتك) تأديبا أى اقنع بما أعطيتك من رسالتى وكلامى ولا تطلب غير ذلك (وكتبنا له فى الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة ، وقيل عشرة

مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۝ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه فى دينهم ، وكذلك تفصيلا لكل شيء ، وموضع كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة بدل منه (فخذها بقوة) أى بجد وعزم ، والضمير للتوراة (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ماهو حسن وأحسن منه كالقصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أى دار فرعون وقومه وهو مصر ، ومعنى أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة ، وهى على هذا مصدر لقوله وأورثناها بنى إسرائيل (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض) الآيات : يحتمل هنا أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين ، والصرف يراد به حتمهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم ، وقيل الصرف منعهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقاؤهم الآخرة ، أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل (من بعده) أى من بعد غيبته فى الطور (من حليهم) بضم الحاء والتشديد جمع حلى نحو ثدى وثدى ، وقرئ بكسر الحاء للإتباع وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلى هو اسم مايتزين به من الذهب والفضة (جسدا) أى جسما دون روح ، وانتصابه على البدل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامرى قد قبض قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقذفه فى العجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل فى جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (ألم يروا أنه لا يكلمهم) رد عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد فى عبادته (اتخذوه) أى اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثانى للعلم به ، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى (سقط فى أيديهم) أى ندموا يقال سقط فى يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفا) شديد الحزن على مافعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما آسفونا (بئسما خلفتمونى) أى قمتم مقامى ، وفاعل بئس مضمر يفسره ماو اسم المذموم محذوف ، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامرى حيث عبدوا غير الله فى غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بنى إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ

عبدوا العجل (أعجلتم أمر ربكم) معناه أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وألقى الألواح) طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شعر رأسه (يجره إليه) لأنه ظن أنه فرط فى كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمه، لأنه أدعى إلى العطف والحنو، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبنى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى لا تظن أنى منهم أو لا تجد على فى نفسك ما تجد عليهم يعنى أصحاب العجل (غضب من ربهم وذلة) أى غضب فى الآخرة وذلة فى الدنيا (ولما سكت عن موسى الغضب) أى سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشرى قوله سكت مثل كأن الغضب كان يقول له ألق الألواح وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك (وفى نسختها) أى فيما ينسخ منها، والنسخة فعلة بمعنى مفعول (لربهم يرهبون) أى يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون، وقال المبرد تتعلق بمصدر تقديره رهبتهم لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابا لهم على قولهم، وقيل إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء، والأول أظهر لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم (لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى) يحتمل أن تكون لو هنا للتمنى أى تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك، لأنه خاف من تشغيب بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أتهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل ، فمعنى هذا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبة إلى الله أن لايعم الجميع بالعقوبة (إن هى إلا فتنتك) أى الأمور كلها بيدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا هدنا إليك) أى تبنا ، وهذا الكلام الذى قاله موسى عليه السلام إنما هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضى شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء فى قوله : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأنا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابى أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء . بالسين وفتح الهمزة من الإساءة ، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف (ورحمتى وسعت كل شىء) يحتمل أن يريد رحمته فى الدنيا فيكون خصوصا فى الرحمة وعموما فى كل شىء لأن المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى : تنالهم رحمة الله ونعمته فى الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا فى كل شىء ، لأن الرحمة فى الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموما فى الرحمة ، وفى كل شىء (فسأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهى بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتب بها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهى أيضا مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلا دينهم على جميع الأديان ، ومكن لهم فى الأرض ما لم يمكن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق : فقوله سأكتبها تخصيص الإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغير هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لما قال الله ورحمتى وسعت كل شىء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال فسأكتبها للذين يتقون فيئس إبليس لعنه الله ، وبقيت اليهود والنصارى (النبى الأمى) أى الذى لايقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، قال بعضهم : الأمى منسوب إلى الأم وقيل إلى الأمة (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) ضمير الفاعل فى يجدونه لبنى إسرائيل ، وكذلك الضمير فى عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعته وصفته ولنذكر هنا ماورد فى التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ماورد فى البخارى وغيره أن فى التوراة من صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الأسواق لاتجزى بالسيئة السيئة ، ولكن تعفو وتصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيونا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا

ومن ذلك مافى التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إنّ الملك نزل على إبراهيم فقال له : فى هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك فى إسماعيل وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذا ماذا ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك فى التوراة إنّ الرب تعالى جاء فى طورسيناء ، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران ، ويعنى بطورسيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هى مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه ، ومعنى ماذكر من مجئ الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع ، وتفسير ذلك ما فى كتاب شعيا خطابا لمكة : قومى فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخال الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوعك ، ارفعى بصرك إلى ماحولك ، وتأملى بأنهم مستجمعون عندك ، وتحج اليك عساكر الأمم وفى بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلأت الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخلاص أمته

ومن ذلك فى التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها ياهاجر أين تريدين ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتى سارة ، فقال لها ارجعى إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذى وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لاسماعيل ولا لغيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا فى التوراة أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوتهم ، وأى رجل لم يسمع ذلك الكلام الذى يؤديه ذلك النبى عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قريظة وبنى قينقاع وغيرهم

ومن ذلك فى التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجبت دعاءك فى إسماعيل ، وباركت عليه وسيلد اثنى عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة

ومن ذلك فى الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذى لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله «وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى» وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك فى التوراة : مولده بمكة أو مسكنه بطيبة وأمته الحامدون ، وبيان ذلك أن أمته يقرؤن الحمد لله فى صلاتهم مرارا كثيرة فى كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك فى إسلام كعب الأحبار ، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك ، وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الأنبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعانى ، فقال يابنى : قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم ، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه ؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطينت عليهما ، فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى ، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما ، فإن الله يزيدك بهذا خيرا ، فلما مات والدى لم يكن شىء أحب إلى من أن ينقضى المأتم حتى أنظر ما فى الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبى بعده ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتتذلل بالتكبير ألسنتهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبى الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم ، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى : والله ما علمنى شيئا خيرا لى من هذا فمكثت ماشاء الله حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبينى وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه ، وبلغنى أنه خرج فى مكة فهو يظهر مرة ويستخفى مرة ، فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدى حذرنى وخوفنى من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة فقلت فى نفسى إنى لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل اليه فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى لعله لم يكن الذى كنت أظن ، ثم بلغنى أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت فى نفسى لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسى بالدخول فى دين الإسلام ، فوالله إنى ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى ، فما كان شىء أحب إلىّ من الصباح ، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متبادلون ، فقال له عمر : ثكلتك أمك ، أحق ما تقول ؟ قال إى والذى أنزل التوراة على موسى والذى يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت كل شىء ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

بالشام ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إنى مقر بالإسلام مصدق، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفارق دين محمد أبدا فإنك تعرف أنه النبى الذى بشر به عيسى ابن مريم ، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرجه البخارى ومسلم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمى ولو خلصت إليه لغسلت قدميه ، ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش فى التجارة إلى الشام ، قال فإنى لفى سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقى فذهبت أنازعه فقيل لى لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلنى كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءنى بزنبيل ومجرفة فقال لى أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع ، فلما كان من الهاجرة وافانى وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ، فقال أتنك على ما أرى ما نقلت شيئا ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت وائكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته فنشرت دماغه ثم واريته فى التراب وخرجت على وجهى لا أدرى أين أسير فسرت بقية يومى وليلتى من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إلىّ رجل منه فقال لى يا عبدالله ما يقعدك هنا ، فقلت أضللت أصحابى ، فقال لى ما أنت على طريق وإنك لتنتظر بعينى خائف ، فادخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتانى بطعام وشراب وأطعمنى ، ثم صعد فىّ النظر وصوبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب منى ، وإنى لأرى صفتك الصفة التى تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بى فى غير مذهب ، فقال لى ما اسمك فقلت عمر ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فاكتب لى على ديرى هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلىّ صنيعة فلا تكررها ، فقال إنما هو كتاب فى رق ، فان كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شىء فكتب له على ديره وما فيه ، فأتانى بثياب ودراهم فدفعها إلىّ ثم أوكف أتاناً فقال لى أتراها فقلت نعم ، قال سر عليها فانك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فاذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلىّ قال فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابى وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربتها مدبرة وانطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام فى زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه ، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف برفعه إلى سالم بن عبدالله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان واليا عليها فجاءه يوما يهودى من يهود عمان فقال له أنشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب

رسول الله ، قال عمرو اللهم نعم ، فقال اليهودى لئن كان حقا ماتقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى أن النبى صلى الله عليه وسلم مات فيه . ثم خرج فأخبر بموت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق ووجده قد مات فى ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيهم أبو بكر الصديق فقال لهم من أنتم ؟ قالوا رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه ، فقال لهم انزلوا حيث تنزل الوفود ، ثم ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه ، فقالوا وهل نقدر على كلامه كما أردنا فتبسم أبو بكر ، وقال إنه ليطوف بالأسواق ويمشى وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه فقالوا لأبى بكر من أنت أيها الرجل ، فقال أنا أبو بكر بن أبى قحافة ، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله ، فقال لهم كيف تخدعون عن الاسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته ، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير المفعول فى يجدونه ، أو تفسير لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور فى التوراة والإنجيل (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن الطيبات هى الحلال ، وأن الخبائث هى الحرام ، ومذهب الشافعى أن الطيبات هى المستلذات إلا ماحرمه الشرع منها كالخمر والخنزير ، وأن الخبائث هى المستقذرات : كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم إصرهم) وهو مثل لما كلفوا فى شرعهم من المشقات كقتل الأنفس فى التوبة ؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب ، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه ذلك (وعزروه) أى منعوه بالنصر حتى لايقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذى أنزل معه) هو القرآن أو الشرع كله ، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إنى رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة فإعراب جميعا حال من الضمير فى إليكم (الذى له ملك السموات والأرض) نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (يؤمن بالله وكلماته) هى الكتب التى أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم فى عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى عصره (وقطعناهم) أى فرقناهم (أسباطا) السبط فى بنى إسرائيل كالقبيلة فى العرب وانتصابه على البدل من اثنتى عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتى عشرة

بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ
الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ
اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ * وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا
اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا
الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ

لا يكون إلا مفردا ، وقال الزمخشري على التمييز ، لأن كل قبيلة أسباطا لا سبط (فانبجست) أي انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار وقال القزويني الانبجاس : أول الانفجار (وظللنا عليهم الغمام) وما بعده إلى قوله بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة ﴿تنبيه﴾ وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا ، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو وفكلوا بالفاء ، فقال الزمخشري : لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض ، وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرة بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها (واسئلهم) أي اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هي إيلياء ، وقيل هي طبرية ، وقيل مدين (حاضرة البحر) قريبة منه أو على شاطئه (إذ يعدون في السبت) أي يتجاوزون حد الله فيه ، وهو اصطيادهم يوم السبت ، وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما في يوم السبت ، وتغيب عنهم في سائر الأيام ، وسبتهم مصدر من قولك سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت ، ومعنى شرعا ظاهرة قريبة منهم يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون . أو بدل من إذ يعدون (وإذ قالت أمة منهم لم تعدون قوما) الآية : افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق : فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكتت واعتزلت ، فلم تنه ولم تعص ، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ، فقالت الناهية نهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون ، فهلكت الفرقة العاصية ، ونجت الناهية ، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب بئيس) أي شديد ، وقرئ بالهمز وتركه ، وقرئ على وزن فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البؤس (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي لما تكبروا عن ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم

خاسئين) ذكر فى البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة ، وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا ، والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام (ليبعثن عليهم) الآية أى يسلط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهوانهم فى جميع البلاد (وقطعناهم فى الأرض) أى فرقناهم فى البلاد ، ففى كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من أسلم كعبد الله بن سلام أو من كان صالحا من المتقدمين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والنقم (فخلف من بعدهم خلف) أى حدث بعدهم قوم سوء ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا (ويقولون سيغفر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كذبهم فى قولهم سيغفر لنا وإعراب ألا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف عبارة وتفسير (والذين يمسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف : وهما بمعنى واحد ، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إنا لانضيع أجر المصلحين ، وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير ، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) أى اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بنى إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم فى البقرة تفسير الظلة وخذوا ما آتيناكم بقوة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية : فى معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه ، روى هذا المعنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم فى الدنيا وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا
مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

بينهما أنه ذكر بنى آدم فى الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال الزمخشرى : إن المراد ببنى آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيح المشهور أن المراد جمع بنى آدم حينما ذكرناه (قالوا بلى شهدنا) قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن تقديره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإثبات ، بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفى ، ولذلك قال ابن عباس فى هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا ، وأما قولهم شهدنا : فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بنى آدم باعترافهم (أن تقولوا يوم القيامة) فى موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لا من قولهم ، وقرئ بالتاء على الخطاب لبنى آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون : سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا على موسى فالآيات التى أعطيها على هذا القول : هى اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هى ما علمه موسى من الشريعة ، وقيل كان عنده من صحف إبراهيم ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى : هو أمية بن أبى الصلت ، وكان قد أوتى علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرا ، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التى كانت عنده (ولكنه أخلد إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فمثله كمثل الكلب) أى صفته كصفة الكلب ، وذلك غاية فى الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعترى ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهى حالة دائمة للكلب ، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ

كما أن لهث الكلب على كل حال وقيل إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب فى صورته ولهثه حقيقة (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى صفة المكذبين كصفة الكلب فى لهثه وكصفة الرجل المشبه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا ، وإن تركوا لم يهتدوا ، وشبههم بالرجل فى أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم ، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم) الآية : قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر (كثيرا من الجن والإنس) هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم ، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء فى قوله هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى (لا يبصرون بها) ليس المعنى نفى السمع والبصر جملة ، وإنما المعنى نفيها عما ينفع فى الدين (ولله الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة . وسبب نزول الآية : أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة ، والرحمن أخرى ، فقال يزعم محمد أن الإله واحد وهاهو يعبد آلهة كثيرة ، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هى لمسمى واحد ، والحسنى مصدر وصف به أو تأنيث أحسن وحسن أسماء الله هى أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد (فادعوه بها) أى سموه بأسمائه ، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى ، فأما ما ورد منها فى القرآن أو الحديث ، فيجوز إطلاقه على الله إجماعا وأما ما لم يرد وفيه مدح لا تتعلق به شبهة ، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعرى وغيره ، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد فى القرآن والحديث ، وقد ورد فى كتاب الترمذى عدتها أعنى تعيين التسعة والتسعين ، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو موقوفة على أبى هريرة ، وإنما الذى ورد فى الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قيل معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم ، فالآية على هذا منسوخة بالقتال ، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله : وذرنى والمكذبين ، وهو الأظهر لما بعده وإلحادهم فى أسماء الله : هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه ، وقيل تسميته بما لا يليق ، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز (وممن خلقنا أمة) الآية روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذه الآية لكم ، وقد تقدم مثلها لقوم موسى (سنستدرجهم) الاستدراج استفعال من الدرجة أى نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شىء وهم لا يشعرون ،

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ
قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ *
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *
قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ
السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إن كيدى متين) سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد فى أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) يعنى بصاحبهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفى عنه مانسب له المشركون من الجنون ، ويحتمل أن يكون قوله مابصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن مابصاحبهم من جنة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم فى قوله : أولم يتفكروا ثم ابتدأ إخبارا استئنافا لقوله مابصاحبهم من جنة ، والأول أحسن (أو لم ينظروا) يعنى نظر استدلال (ماخلق الله) عطف على الملكوت ويعنى بقوله من شىء : جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أن الأولى مخففة من الثقيلة ، وهى عطف على الملكوت ، وأن الثانية مصدرية فى موضع رفع بعسى ، وأجلهم يعنى موتهم ، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب ، فينبغى لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل (فبأى حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش ، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (أيان مرساها) معنى أيان : متى ، ومرساها : وقوعها وحدوثها ، وهى من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما علمها عند ربى) أى استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لا يجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها ، فهو من الجلاء ضد الخفاء ، واللام فى لوقتها ظرفية : أى عند وقتها ، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله (ثقلت فى السموات والأرض) فى معناه ثلاثة أقوال : الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها ، والثانى ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض ، والثالث معنى ثقلت : أى ثقل علمها أى خفى (يسألونك كأنك حفى عنها) الحفى بالشىء هو المهتبل به المعتنى به ، والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفى بعلمها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفى بهم لقرابتك منهم ، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسئلونك ، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفى بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) براءة من علم الغيب ، واستدلال على عدم علمه (وما مسنى السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير ، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصيبنى ماقدر لى من الخير والشر ، وقيل إن قوله وما مسنى السوء : استئناف إخبار ، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أى أبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ * فَلَمَّا ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَا ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

وأنذرهم ، وخص بهم البشارة والنذارة ، لأنهم هم الذين ينتفعون بها ، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلق بنذير محذوف أى نذيرا للكافرين ، والأول أحسن (من نفس واحدة) يعنى آدم (زوجها) يعنى حواء (ليسكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تغشاها) كناية عن الجماع (حملت حملا خفيفا) أى خف عليها ولم تلق منه ما يلاقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب ، وقيل الحمل الخفيف المنى فى فرجها (فمرت به) قيل معناه استمرت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أى ثقل حملها وصارت به ثقيلة (لئن آتيتنا صالحا) أى ولدا صالحا سالما فى بدنه (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أى لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا : جعل أولادهما له شركاء فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاهما : أى فيما آتى أولادهما وذريتهما ، وقيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتينى وسميت ما فى بطنك عبد الحارث ، فسأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتينى فى ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا فى حياته ، فقوله جعلا له شركاء فيما آتاهما : أى فى التسمية لا غير ، لا فى عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضى براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثانى أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فتعالى الله عما يشركون بضمير الجمع ، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح ، وهو غير موجود فى تلك القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصى بن كلاب وزوجته وجعلا له شركاء أى سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصى من قريش والظاهر أن الخطاب عام لبنى آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح فى حواء لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح فى زوجة قصى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) هذه الآية رد على المشركين من بنى آدم ، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يعنى أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم فى غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعنى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدى أو إلى أن تهدى ، لأنها جمادات (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) تأكيد وبيان لما قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال أو صمتم؟ فالجواب إن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة ، فعبر هنا

لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ
لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ *

بجملة إسمية لتقتضى الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن آلهتهم عباد ؛ فكيف يعبد العبد معربه (فادعوهم فليستجيبوا) أمر على جهة التعجيز (ألهم أرجل يمشون بها) ومابعده : معناه أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة ، ومن كان كذلك : لايكون إلها ، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة ؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام ، لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لاتمشى ولاتبطش ، ولاتبصر ، ولاتسمع ، فلزمته الحجة ، والهمزة فى قوله «ألهم» للاستفهام مع التوبيخ ، وأم فى المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة ، ومعنى بل وليست عاطفة (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) المعنى استنجدوا أصنامكم لمضرتى والكيد علىّ ، ولا تؤخرونى ، فإنكم وأصنامكم لاتقدرون على مضرتى ، ومقصد الآية الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرة ، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لايقدر على شىء ثم أفصح بذلك فى قوله (إن ولي الله) الآية : أى هو حافظى وناصرى منكم فلا تضرونى ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتى ، ثم وصف الله بأنه الذى أنزل الكتاب ، وبأنه يتولى الصالحين ، وفى هذين الوصفين استدلال على صدق النبى صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب عليه ، وبأن الله تولى حفظه ، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين والصالح لابد أن يكون صادقا فى قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم) الآية : رد على المشركين ، وقد تقدم معناه (وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا) يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيراً لهم ، وردا على من عبدها ، فإنها جمادات لاتسمع شيئا ، فيكون المعنى كالذى تقدم ، أو يريد الكفار ، ووصفهم بأنهم لايسمعون يعنى سماعا ينتفعون به ، لإفراط نفورهم ، أو لأن الله طبع على قلوبهم (وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون) إن كان هذا من وصف الأصنام ، فقوله ينظرون مجاز ، وقوله لايبصرون حقيقة ، لأن لهم صورة الأعين وهم لايرون بها شيئا ، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لايسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من الناس فى أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ماتيسر لا مايشق عليهم ، لئلا ينفروا فالعفو على هذا يعنى السهل والصفح عنهم ، وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر ۝ خذى العفو منى تستديمى مودتى ۝

والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ماسهل على الناس فى أموالهم أومافضل لهم ، وذلك قبل فرض الزكاة ، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو الجارى بين الناس من العوائد ، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد (وأعرض عن الجاهلين) أى لاتكافئ السفهاء بمثل قولهم أوفعلهم واحلم عنهم ، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لاأدرى حتى أسأل ؛ ثم رجع فقال يامحمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهى على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك فى الحق والأمر بالمعاصى أو تحريك الغضب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد فى الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مابه : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) معناه لمة منه ، كما جاء إن للشيطان لمة وللملك لمة ، ومن قرأ طائف بالألف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف بياء ساكنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد ، كميت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليعم كل مايذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم فى الغى) الضمير فى إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يكونون مددا لهم : يعضدونهم ، وضمير المفعول فى يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير فى إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أن الكفار يمدهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها ، والمعنى واحد ، وفى الغى يتعلق بيمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة فى الله ، أو فى الشيطان (ثم لايقصرون) أى لايقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار أو لايقصر الكفار عن غيهم ، وفى الآية من إدراك البيان لزوم مالايلزم بالالتزام الصاد قبل الراء فى مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) الضمير فى لم تأتهم للكفار ، ولولا هنا عوض ، وفى معنى اجتبيتها قولان : أحدهما اخترعتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحى أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتخيرتها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أى يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع مايوحى إلى من ربى معناه لاأخترع القرآن على القول الأول ولاأطلب آية من الله على القول الثانى (هذا بصائر) أى علامات هدى والاشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال ؛ أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام فى الصلاة ، والثانى أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الاطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثانى أن الآية مكية ، والخطبة إنما

وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۝

سـورة الأنفال

مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ *

شرعت بالمدينة (لعلكم ترحمون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول: عطف متغاير أي حالة أخرى، وعلى الثاني يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغدو والآصال) أي في الصباح والعشي والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أي لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سـورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هي الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي صلى الله عليه وسلم في العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس الغنمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أي الحكم فيها لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أي اتفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشري، وقال ابن عطية يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيري إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أي الكاملون الإيمان فإنما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلت قلوبهم) أي خافت وقرأ أبي بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أي قوى تصديقهم ويقينهم